

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 31

الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم

المبحث: سورة الإنسان

التاريخ: 22\02\2023 م

كتبه: عبدالله ضيف الستري

يقع الكلام فيما يرتبط بالروايات التي نقلت في شأن نزول هذه الآيات التي نبحت عنها، والروايات المنقولة في كتبنا عن هذه الحادثة وبأسانيدنا بحمد الله تعالى متوفرة، وتراجع في الكتب المبسطة.

كما نقلت هذه الحادثة في تفاسير السنة، بألفاظ متعددة ومختلفة، والرواة متعددون ومختلفون.

الملفت للنظر أن ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ينقل هذه الحادثة -حادثة مرض الحسن حسين عليهما السلام ونذر الإمام علي عليه السلام في القصة المعروفة- عن الأصمغ بن نباتة، ويضعف هذه الرواية، ويوردها في كتابه الموضوعات.

المتتبع لكلامه يجد أنه يرد هذه لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: ضعف الأصمغ باعتقاده، وما ضعفه إلا لرميه بالتشيع.

الوجه الثاني: التعجب من أنه كيف يمنع الطعام عن صغيرين مثل الحسن والحسين عليهما السلام، والمفروض أنهما قد تعافيا من المرض حديثاً، فهذا لا يعقل في حق مثل أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء عليهما السلام أن تمنع طفليهما من الطعام. إذا أنتما عليهما السلام نذرتما تصدقا بطعامكما لا بطعام الأطفال.

الوجه الثالث: أن الرواية التي رواها الأصمغ بن نباتة تتضمن أشعاراً صادرة من أمير المؤمنين عليه السلام ومن السيدة الزهراء عليهما السلام، يعني هو ينشد وهي تجيبه، وباعتقاده أن هذه الأشعار في غاية الركافة، لا تصدر عن فصيحين مثل أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء عليهما السلام.

فإذا ردّ ابن الجوزي هذه الرواية، ووضعها، وصنفها ضمن الروايات الموضوعية؛ لهذه الوجوه الثلاثة.

تمام هذه الوجوه -في الواقع- لو فرضناها أنها واردة، خصوصاً الوجه الأول والوجه الثالث، فهذا إنما يصلح إشكالاً على رواية الأصمغ، لا على سائر الروايات، فإذا الأصمغ شخصية ضعيفة لا تأخذ بهذه الرواية، ولا نرد القصة.

والإشكال من ناحية الأشعار لو تم، إنما يرد على رواية الأصمغ؛ لأن هذه الأشعار ليست موجودة في الروايات الأخرى الكثيرة.

أما وصف الأشعار بالركاكة، هذا يذكرني شعر لبشار بن برد:

ربابة ربة البيت                      تبل الخل بالزيت

لها تسع دجاجات                      وديك حسن الصوت

هذا اعترض عليه، من أن بشار الذي عنده قصائد تثير النقعة، وتوقف القلوب في الحناجر، يقول هذا الشعر، فيعترض شخص عليه، كما تنقل هذه الحادثة في بعض الكتب. يقول أحمد بن خلاد عن أبيه قلت: "لبشار أنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت. قال: وما ذاك؟ قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقعة، وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية                      هتكنا حجاب الشمس أو تمطر دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة                      ذراً منبرٍ صلى علينا وسلمما

فيعترض عليه. أجابه بشار -عادة يستشهد بها لكل مقام مقال- قال: لكل وجه مقام وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جارتني، وأنا لا أكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها، فهذا عندها من قلبي أحسن من قول امرؤ القيس:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل

فأنت تنظر إلى أشعار قيلت للإشاد مع الحسن والحسين عليهما السلام على الرغم من مقامهما الجليل إلا أنه لا يخرج الحال عن كون المقام مقام عاطفي وتطرية الجو مع الأطفال.

لقد أغنانا سبط بن الجوزي عن تكفل الرد -حفيده- فيقول: "والعجب من قول جدي وإنكاره، وقد قال في كتاب المنتخب يا علماء الشرع أعلمتم لما آثرا المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم، وتركوا الطفلين الحسن والحسين عليهما السلام، أتراهما خفي عليهما خبر ابدأ بمن تقول؟ ما ذاك إلا أنهما علما قوة صبر الطفلين، وأنهما غصنان من شجرة الظل عند رب، وبعض من جملة فاطمة بضعة مني".

مضافاً إلى ذلك ما ذكرناه أن الروايات المروية في هذه الحادثة لا تنحصر برواية الأصبع بن نباتة، بل روى هذه الروايات جمع الصحابة والتابعين، كما أن هذه الحادثة حادثة مشهورة، أي نظير ما يذكره صاحب كتاب الغدير، عادة عندما نريد أن نستدل على الإمامة أو على وصية أمير المؤمنين عليه السلام نقصر النظر على الروايات التي نصبه فيها الرسول صلى الله عليه وآله للإمامة والخلافة، وننسى شهرة كبيرة في ذاك الزمن شعراً ونثراً، وهو أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان معروف بهذا اللقب، وهو الوصي، كان معروف بالإمام، فلم يكن يقال مثل هذه الألقاب لغير علي بن أبي طالب عليه السلام، كما في شعر حسان بن ثابت وما شابه ذلك الذي كان في غدير خم وفي غيرها من الوقائع.

كذلك حادثة الإطعام، حادثة مشهورة بين الصحابة، وربما لأجل ذلك رأينا مثل الفخر الرازي على الرغم من أنه في تفسير هذه الآية ينكر أنها نزلت في شأن علي عليه السلام، ويعترف بذلك في أماكن أخرى. ليس ذلك إلا لشهرة هذا الحدث.

هذا تمام الكلام فيما يرتبط بشأن نزول هذه الآية، والتي عرفنا أنها من ناحية القرائن الداخلية تتناسب، ومن ناحية تلك الروايات بينهما كمال الانسجام والتناسب.